

السقف الخشبي بالجزائر خلال الفترة العثمانية

دة/ زهيرة حمدوش

أستاذة محاضرة بالمركز الجامعي لتيبازة: الجزائر

ملخص:

يتناول هذا الموضوع السقف الخشبية بالجزائر خلال العهد العثماني، حيث قمنا بتمهيد حول تعريف السقف ولحمة تاريخية عن السقف في العمارة الإسلامية، ثم انتقلنا إلى الدراسة الميدانية للنماذج المتميزة من السقف بالجزائر، والتي مست بعض قصور مدينة الجزائر وقسنطينة، لنخلص إلى دراسة تحليلية قدمنا فيها دراسة تنميطية لمختلف أنواع السقف بالجزائر خلال العهد العثماني، وقد دعمنا البحث بمجموعة من الصور والأشكال التوضيحية. **كلمات مفتاحية:** السقف، العمارة، القصور، الجزائر، الزخرفة، الخشب.

مقدمة:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني بناء العديد من المنشآت المعمارية الدينية منها والمدنية والعسكرية، ولعل مما لفت انتباهنا في هذه المنشآت هو طريقة التسقيف وما نتج عنه من أنواع مختلفة حسب تنوع التقنيات المستخدمة فيها، وعلى الرغم من أن الغالب العام على تلك المنشآت بساطة السقف إلا أننا نجد في البعض منها خاصة بعض القصور والدور ما هو فعلا ملفت للانتباه لما تزخر به من زخارف فنية في غاية الروعة والالتقان، وهو الموضوع الذي نتناوله بالدراسة والتحليل في هذا المقال، من خلال النماذج المتميزة بكل من قصور مدينة الجزائر، وبعض بيوتات مدينة قسنطينة.

اولا/ تعريف السقف:

جمعه سُقُفٌ وسُقُوفٌ، وهو غطاء البيت، وقد سَقَفَ البيتَ يَسْقِفُهُ سَقْفًا، والسماء سَقْفًا على الأرض⁽¹⁾، وهو غطاء البيت وأعلاه المقابل لأرضيته، أو كل ما علاك فأظلك، وعادة يتوافق شكل ومادة التسقيف مع ظروف المناخ والمادة البنائية المتاحة من خشب وحجر أو آجر أو قصب، وكان الهدف من التسقيف حماية المباني من الشمس والمطر⁽²⁾.

⁽¹⁾ - ابن منظور (جمال الدين بن محمد)، المصدر السابق، مج3، ص166.

⁽²⁾ - قرمان (عبد القادر)، المنشآت المدنية مليانة في العهد العثماني دراسة أثرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2007، ص159.

ثانيا/ التسقيف في العمارة الإسلامية:

تعدد التسقيف في عمارة المباني بصفة عامة، وفي العماائر الإسلامية بصفة خاصة، حيث اختلفت شكلا ومادة، حسب البيئة ومؤثراتها، فهي إما مسطحة من الداخل والخارج، أو مسطحة من الداخل وجملونية من الخارج، أو مخروطية تعلوها قباب وأقبية متنوعة.

تحمل السقوف على عقود وقناطر متتالية مقامة على أعمدة أو دعائم، وفي حالة غياب الأقواس ترتكز على ألواح وعوارض خشبية تحملها الأعمدة والدعائم، ومن السقوف ما يعتمد هيكله الخشبي على الجدران، وهي تساعد في حمل الجذوع، أو إضافة ألواح خشبية لتغطيتها مع زخرفتها وتلوينها⁽¹⁾.

وقد كان المعمار المسلم على دراية تامة بطريقة معالجة السقف وإنشائه والغرض من انجازه، حيث أورد لنا ابن خلدون الطريقة المتبعة في انجازه فقال: "ومن صنائع البناء عمل السقف، بان يمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت، ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالدسائر، ويصب عليها التراب والكلس، ويبسط بالمراكز حتى تتداخل أجزاؤها وتلتحم، ويعال على الكلس كما يعال على الحائط"⁽²⁾.

وقد ارتبطت درجة العناية بالأسقف حسب أهمية الغرفة في المبنى من جهة، والوضع المادي لصاحبه من جهة أخرى، لأن السقف يبقى عنصرا تزيينيا وزخريا للغرفة، حيث حظي السقف في العهد العثماني بمكانة رفيعة باعتباره عنصرا فنيا وزخريا، لاسيما في المنشآت المدنية، وبدرجة أقل في العماائر الدينية⁽³⁾، والأمر نفسه بالنسبة للجزائر، فمن خلال النماذج المدروسة يمكننا أن نميز أنواعا مختلفة من الأسقف .

ثالثا/ دراسة وصفية لنماذج من السقوف:

1/ سقوف قصر حسن باشا⁽⁴⁾: النموذج الأول:

⁽¹⁾ - رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات، المرجع السابق، ص142، 141. أنظر أيضا: غالب (عبدالرحيم)، المرجع السابق، ص227.

⁽²⁾ - ابن خلدون (عبدالرحمن)، المصدر السابق، ج1، ص512.

⁽³⁾ - زين العبادين (محمود محمد)، جولة تاريخية في البيت العربي والبيت التركي، ط1، السعودية، 1998، ص183.

⁽⁴⁾ - يعرف أيضا بالقصر الشتوي وقد بني في حدود 1791م من طرف حسن باشا، حيث اقام لنفسه اقامة ثانية اضافة إلى قصر الجنينة، كما عرف القصر العديد من التغيرات والتجديدات خلال الفترة الاستعمارية 1839، وقد كانت عشوائية لا تتجارب مع نمطه المعماري لاسيما واجهته الخارجية. للمزيد انظر:

- GOLVIN.L, Palais et Demeures d'Alger à la période ottomane, Tard y

Quercy(S.A),CAHORS ,1988 ,p55

- KLEIN. H, Les Feuilles D'El Djezair, L.chaix éditeur, Alger,1937,p130.

اسم المعلم:	قصر حسن باشا
موقع المعلم:	مدينة الجزائر
موقع السقف:	الطابق الأول
الطول:	8,12م
العرض:	2,68م
الارتفاع:	4,23م

الوصف: يقع في احد الغرف الجانبية بالجهة الشمالية من الطابق الأول بقصر حسن باشا، اعتمد الصانع في تنفيذ هذا السقف (الصورة رقم 01) على تقنية السدايب الخشبية والحفر المجسم بالإضافة إلى الألوان المائية، وقد تم تقسيم السقف بالسدايب الخشبية إلى معينات تتوسطها أزهار الأكانتس ثمانية البتلات، غطت أركان المعينات بأزهار اللاله، تنمو منها مروحتان نخيليتان في اتجاه متعاكس.

تخلل السقف ثلاث معينات كبيرة، الجانبين يتماثلان من حيث الزخرفة، أما فيما يخص المعين المركزي فتوسطه نصف دائرة مركبة بارزة نوعا ما عن السقف، تتخللها صفوف من الدوائر مؤلفة أوراق الاكانتس تتناوب مع فروع حلزونية تتقاطع فيما بينها في هيئة حلقة، كما غطيت زوايا المربع من الداخل بنفس الزخارف التي نفذت في أركان المعينات الصغيرة، يحيط بالمعين شريط من المراوح النخيلية المتصلة ببعضها البعض، وهي منفذة بتقنية الحفر، ولونت كلها باللون الذهبي.

أما المعينات الجانبية، فقوام زخارفها طبق نجمي يتألف من ستة عشر ضلعا، غطت أركان المربع نفس العناصر التي نفذت في أركان المربعات الصغرى، يوطر الزخارف شريط يتألف من باقات مزهرة متكررة، تتشكل من الحوذان وبراعمها، تفصل بينها بالتناوب أزهار مجسمة للأفحوان مع أشكال تشبه الفراشة، تألفت من أربع مراوح نخيلية وأنصافها تقابلت فيما بينها مشكلة تلك الفراشة.

بينما إيوان الغرفة (أنظر الصورة رقم 02)، فهو الآخر مسقف بسقف خشبي مقاساته (2,56×1,09م)، وهو مقسم بواسطة السدايب الخشبية إلى أطباق نجمية ثمانية الرؤوس، اعتمد الصانع في تشكيلها أساسا على المربع، فنتج عن ذلك مضلعات اللوزة وخاتم وثمانى ومقرمطة وبولة، زينت بعناصر نباتية مختلفة بالألوان المائية، قوامها مراوح نخيلية وباقات من الأزهار.

يتوسط السقف مربع كبير مؤلف من زهرة الاكانتس البارزة المجسمة والمفرغة، حصرت داخل دائرة، زينت أركان المربع بمحارة تنموا منها مراوح نخيلية وأنصافها.

يرتبط السقف بجدار الغرفة بواسطة إفريز في هيئة بائية مؤلفة من عقود مدببة مفصصة تتوسطها باقات مزهرة ومورقة تتشكل من الورد والحوذان نفذت بالألوان المائية، تفصل العقود عن بعضها البعض أزهار اللاله يعلوها عنصر المحارة التي نفذت بالحفر المجسم وثبتت بالغراء، ولونت العناصر البارزة باللون الذهبي، أما الأرضيات فقد استخدم في طلائها اللون الأخضر والأحمر.

ويحف بالسقف المركزي للغرفة سقفان (أنظر الصورة رقم 03) صغيران متشابهان من حيث الزخرفة، ولا يختلفان إلا في المقاسات، تقدر مقاسات الاول بـ $2,71 \times 1,90$ م، والثاني تقدر بـ $2,67 \times 1,33$ م، وفيهما قسم السقف بواسطة السدايب الخشبية المزدوجة المتقاطعة، نتج عن تقاطعها مضلعات سداسية، تتوسطها أزهار الأكانتس مجسمة لونت باللون الذهبي، وفيه طليت الأرضية بالبني، بينما لونت أضلع الخلايا باللون الأحمر والأخضر، كما نتج عن تقاطع أضلع الخلايا عقد على هيئة حرف الميم الوسطى (م)، ويحيط السقف شريط يتألف من خراطيش تفصلها أزهار اللاله، وهي منفذة بالحفر المجسم البارز، في حين تتخلل الخراطيش باقات مورقة ومزهرة نفذت بالألوان المائية.

النموذج الثاني:

اسم المعلم:	قصر حسن باشا
موقع المعلم:	مدينة الجزائر
موقع السقف:	الطابق الثاني
الطول:	8,62 م
العرض:	2,45 م
الارتفاع:	4,06 - 4,24 م

الوصف: يعتبر هذا السقف (الصورة رقم 04) من بين أجمل سقوف قصر حسن باشا، وهو يقع في الغرفة الشمالية بالطابق الثاني، يغطي غرفة من أوسع غرف القصر، يتشكل من قسمين، الأمامي وهو الذي يظهر في الصورة، يشتمل على ثلاثة أجزاء، الجانبين منه مستطيلان الشكل، وهما متشابهان من حيث الزخارف والمقاسات، أما الجزء المركزي فهو مربع.

الجزء الجانبي (الصورة رقم 05) مستطيل الشكل، تتوسطه زخارف نفذت بتقنية السدايب الخشبية على شكل خطوط متعرجة ومتقابلة ومتدابرة، شكلت معينات توسطتها زهرة رباعية صغيرة تنموا منها أربع مراوح نخيلية.

وقد أحيطت هذه الحشوة بشريطين قوامهما: الشريط الأول (الخارجي) أرضيته صفراء اللون، نفذت عليها أغصان رفيعة مورقة ومزهرة بالألوان المائية، أما الشريط الثاني الداخلي فهو عبارة عن مثلثات متقابلة الرأس، نفذت بتقنية السدايب الخشبية، تتوسطها تشكيلة متنوعة من باقات الأزهار.

الجزء المركزي: تقوم زخارفه على مربع رؤوسه الأربعة مقوسة، مما سمح بخلق مثلثات تحصر بداخلها مراوح نخيلية تتوجها ورقة ثلاثية نفذت بأسلوب الحفر المجسم، وتم تثبيتها على سطح اللوحة بتقنية التعشيق والغراء، يتوسط المربع عنصر بيضوي بداخله زهرة محورة بتلاتها نفذت في هيئة عناصر محارية، قسم المربع إلى أربع مثلثات تتخللها أربع مضلعات رباعية قريبة إلى المثلث من حيث الشكل، تتميز ببروزها عن بقية أجزاء السقف، تحصر بداخلها بتقنية الحفر المجسم فروع مورقة تنتهي بأزهار عرف الديك.

يحيط بالأجزاء الثلاثة ويفصلها عن بعضها البعض شريط قسم بواسطة السدايب الخشبية إلى معينات متقابلة الرؤوس، نتج عن تقابلها مثلثات حصرت المعينات بداخلها باقات من الفواكه المورقة كالعنب الدراق التين الخوخ، أما المثلثات فتتوسطها باقات مورقة ومزهرة للبنفسج واللاله، نفذت العناصر كلها بأسلوب واقعي وفق طراز الباروك والرومي، استخدم فيها الفنان اللون الذهبي في طلاء العناصر البارزة المجسمة من السقف، بينما الأجزاء الأخرى استخدم فيها تشكيلة من الأحمر والأخضر بدرجاتهما والأصفر والأزرق والأسود.

القسم الداخلي من السقف بنفس الغرفة (أنظر الصورة رقم 06، الشكل رقم 01) مقاساته 3,14×10,51م، وهو مقسم بدوره إلى جزأين، الجزء الأول وهو الأوسط: يتألف من ثلاث وحدات، الجانبيتان متشابهتان، والمركزية تختلف عنهما، تتوسطها حشوة دائرية إشعاعية الشكل، قسمت بسدايب خشبية إلى نجمة من اثني عشر ضلعاً، مركزها قوام زخارفه زهرة الاكانتس نفذت بأسلوب مجسم، ينمو منها عنصر قرص الشمس، غطيت إشعاعاته بعناصر قلبية متصلة ببعضها البعض في هيئة سنبله، يتوسط أضلاع النجمة معينات بارزة بداخلها أزهار شديدة التحوير، أما المساحة المتبقية فقد ملئت بعناصر نباتية قوامها إكليل من الأزهار نفذت بالألوان المائية. يحيط بالدائرة الإشعاعية المنفذة بتقنية الحفر البارز أزهار اللاله تنمو منها مراوح نخيلية، حليت أركان المربع بمثلثات تحمل زخارف مؤلفة من عنصر أقواس السهام في هيئة محارة تنمو من قاعدتها فروع متدابة تنتهي بأزهار عرف الديك.

أما الوحدات الجانبية، فهي مؤلفة من شكل مستطيل يحصر بداخله شكل بيضوي تتوسطه نصف كرة مجسمة بارزة، تحيطها دائرة بيضوية الشكل، حصرت بينهما عناصر نباتية مكونة من أغصان متفرعة تحيط بالعنصر البيضوي، ويتوج الغصن الرئيسي الأوسط زهرة شديدة التحوير رغم أن باقي العناصر نفذت بأسلوب واقعي، وقد قسم المساحة البيضوية بشكل إشعاعي بواسطة السدايب الخشبية التي حفر عليها أزهار صغيرة الحجم تنمو منها بشكل متعاكس ومتدابر مراوح نخيلية وأنصافها.

كما زينت باقي المساحات المسطحة من الدائرة البيضوية بأغصان زهرة الخزامة المنفذة بالألوان المائية، أما زوايا المستطيل الأربعة، فتدخلها مثلثات ملئت بنفس العناصر السابقة التي تخللت أركان مربع الحشوة المركزية، وحتى لا يترك الفنان فراغا بين العنصر البيضوي والمستطيل غطيت بالسنبل البري التي نفذت بشكل واقعي غاية في الجمال والروعة بالألوان المائية.

والشيء الملاحظ على هذه الزخارف أن كل العناصر المجسمة البارزة لونت باللون الذهبي، بينما العناصر المنفذة على المساحة المسطحة استعمل فيها الفنان الألوان المائية، مستخدما اللون الأخضر والأحمر بدرجاتهما والأزرق والأصفر والبرتقالي والبني، اعتمد الفنان في تنفيذها وتنفيذ عناصرها على الأسلوب الواقعي وفق أسلوب عصر النهضة.

وقد أطرت الحشوات السابقة بإطارين، وهما على النحو التالي: الإطار الأول عبارة عن أشطرة قوامها فروع مورقة ومزهرة، تتقاطع الأشطرة فيما بينها مشكلة حشوات مختلفة الأحجام تحصر بداخلها عنصر أقواس السهام نفذت بشكل متقابل تنمو منها عناصر نباتية بالحفر البارز تتناوب مع عناصر نباتية مورقة ومزهرة نفذت بالألوان المائية، أما الشريط الثاني فهو عبارة عن شريط يحف بالسقف من جهاته الأربعة في هيئة إفريز نفذ باللون الأصفر الذهبي يحصر بداخله فروع أفغوانية الحركة تنمو منها فروع الرمان وأوراق كثيرة التعريقات.

الجزء الثاني: يغطي الجانب الأيمن والأيسر من الغرفة، وهو ذو مقاسات متفاوتة، في حين تتشابه زخارفهما، فأما بالنسبة **للسقف الأيمن** (أنظر الصورة رقم 07) فشكله مستطيل، مقاساته $3,14 \times 2,29$ م، وهو يتشكل أساسا من السدايب الخشبية المتقاطعة فيما بينها مشكلة معينات تتوسطها زهرة الأكتنيس المجسمة، تحصر بينها أشطرة تتوسط أزهار ثمانية البتلات تنمو على طرفيها مراوح نخيلية، الجزء الأوسط من هذه المعينات نفذ بالحفر المجسم، بينما الأجزاء الجانبية زخرفت بالألوان المائية على أرضية محمرة.

يحيط بالسقف شريطان: الشريط الأول قوامه فروع نباتية مجردة تتقاطع فيما بينها مشكلة معينات تحصر بينها أزهار، في حين الشريط الثاني نجده يتشكل من فروع رفيعة تبرز منها باقات من الأزهار.

السقف الأيسر: مقاساته $3,15 \times 1,80$ م، وهو يشبه السقف السابق من حيث الفكرة، ويختلف عنه من حيث العناصر والزخارف، قوامه معينات نتجت عن تقاطع خطوط السدايب الخشبية، تتوسطها زهرة محورة مجسمة زينت الأشطرة بالمعينات، بفروع رفيعة تتوسطها باقة من الأزهار المتنوعة، وقد أحيط السقف بشريط قوامه عناصر نباتية، وقد أصاب التلف أجزاء كبيرة منه، أما بخصوص الألوان فهو يتميز بنفس الخصائص الفنية التشكيلية واللونية الموجودة في الأجزاء الأخرى من سقف الغرفة.

2/ سقوف حصن 23:

النموذج الأول:

اسم المعلم:	حصن 23/ القصر 18
موقع المعلم:	مدينة الجزائر
الموقع:	غرفة بالزاوية الجنوبية الغربية من الطابق العلوي
الطول:	4,28م
العرض:	2,72م
الارتفاع:	3,35م

الوصف: يقع السقف (الصورة رقم 08) في الغرفة التي تحتل الركن الجنوبي الغربي بالطابق العلوي من قصر رقم 18 بـ حصن 23، يتشكل من قسم واحد يتوسطه شكل بيضوي متدرج البروز خالي من الزخارف عكس ما هو بدار الحمراء، أحيط بصف من زهرة اللاله على أرضية شبكية، يحيطه شريط آخر أحمر اللون يزينه غصن أفعواني الحركة رفيع يتقاطع مع إكليل من أزهار البنفسج المنفذة بالوردي والبنفسجي المزرق وهي الألوان الطبيعية لهذه الزهرة. يشع من العنصر البيضوي باتجاه أضلاع المستطيل القائم سدايب خشبية مشكلة عنصرا في هيئة ربطه عنق مشعة، حفر على السدايب فروع أزهار اللاله متصلة ببعضها البعض نفذت بطريقة أفعوانية تتبادل مع سدايب حفر عليها شريط يشبه السنبلة لونت باللون الذهبي، أما المساحة المتبقية المحصورة بينها فقد زينت بتشكيلة مختلفة من الأزهار وفروعها المورقة ذات الألوان المختلفة، حيث نجد في كل ضلع أكثر من خمسة أنواع من الأزهار، من بينها فروع أزهار النرجس والورد والسنبل البري واللاله والقرنفل وعرف الديك والأقحوان والخزامة وعود الصليب، نفذت بأسلوب واقعي جميل ورشيق.

يتوسط الأجزاء المنتفخة من الشكل شكل شبه منحرف يشبه المثلث متقابل الرأس، يتشكل من جزأين، الخارجي منه عبارة عن شريط تتوج قمته زهرة اللاله، تتفرع منها فروع حلزونية متصلة ببعضها البعض، تنمو منها مراوح نخيلية وأنصافها وأزهار تختلف من فرع إلى آخر كالرمان واللاله والنرجس والأقحوان، بينما الجزء الداخلي فيتألف من مروحتين نخيليتين متداخلتين متدابتين تتوجهما فصوص مركبة في هيئة محارة، يحيط بالمثلث ضفيرة مزدوجة تخللتها أزهار خماسية البتلات صغيرة الحجم.

وقد أحاط الفنان الجزء الأوسط من السقف بأربعة أشرطة متدرجة زخارفها، نفذت بأسلوب التكرار المتعاقب، وهي كالتالي: الشريط الأول الداخلي يتشكل من خراطيش تفصل بينها شبكة من أغصان نباتية متداخلة متشابكة، تبرز منها مراوح نخيلية بسيطة مزدوجة ثلاثية ومعركة، تحصر الخراطيش مهادا من الباقات المتنوعة تضم الورد وأزهار النفل الثلاثية والحوذان والزنبق وغيرها نفذت على أرضية صفراء.

يفصل الشريط الأول عن الثاني صف من أوراق الأكانتس منفذة بالتكرار في ما يشبه الشرافات باللون الأحمر.

الشريط الثاني مؤلف من خراطيش غير منتظمة الشكل من أغصان تتقاطع فيما بينها، جاءت خالية من الزخرفة في أجزاء، بينما نفذت بشكل متقاطع متداخل في أجزاء أخرى، تنمو منها مراوح نخيلية تتوسطها زهرة الحوذان، تتصل الخراطيش ببعضها البعض بواسطة دائرة مشعة تتوسطها نجمة ثمانية، تحتوي هذه النجمة في مركزها على نصف دائرة مجسمة من الخشب قسمت إلى أربعة فصوص، تتوسطها زهرة سداسية صغيرة، أو مسامير ذات أخاديد نفذت على أرضية حمراء.

الشريط الثالث تزيينه زخارف نباتية قوامها فروع نباتية رفيعة ذات حركة أفعوانية، تبرز منها في هيئة باقات مختلفة الحجم، لونت بألوان مختلفة، منها البنفسجي والحوذان والقرنفل على أرضية خضراء.

الشريط الرابع نفذ في هيئة شرافات مقلوبة، أو ما يشبه الإصيصات، تتوج وتفصل السقف عن الحائط على شكل إفريز، غطي كل جزء منه بباقة من الأزهار التي تختلف عن بعضها البعض قائمة على فكرة التكرار المتبادل من أزهار نور الصباح والأقحوان وغيرها.

ومن خلال ما سبق يتضح أن العناصر النباتية نفذت بأسلوب واقعي لدرجة يسهل التعرف على نوع جميع الأزهار المستخدمة في الرسم، محتفظة بألوانها الطبيعية في غالبية الأحيان، استخدم في تجسيدها اللون الأحمر والأخضر والبنفسجي بدرجاته والبني والأزرق واللون الأسود في تحديد بعض العناصر الزخرفية، بالإضافة إلى اللون الذهبي الذي استخدم في معظم العناصر المحفورة والمجسمة على السقف.

النموذج الثاني:

اسم المعلم:	حصن 23 / القصر 18
موقع المعلم:	مدينة الجزائر
موقع السقف:	قاعة الأكل الطابق العلوي
الطول:	6,05م
العرض:	4,58م
الارتفاع:	3,50م

الوصف: يقع هذا السقف (الصورة رقم 9) في الطابق الثاني من قصر رقم 18 المعروف بقصر مصطفى باشا بـ حصن 23، يتألف من تسعة أقسام، وهي تتشكل من أربع حشوات تتبادل فيما بينها بطريقة متكررة مع بعض الاختلافات البسيطة، تفصل بينها أشكال دائرية أو بيضوية مشعة أو نجمة مركبة، وفي ما يلي وصف لهذه الأقسام الأربعة:

الحشوة الأولى: عبارة عن حشوة مستطيلة، أركانها مقوسة، قوام زخارفها عنصر بيضوي مركزي بارز ومجسم الشكل في هيئة طبق بداخله سبع حبات رمان، وفي حشوة أخرى يتألف من سبع حبات من البرقوق (الدراق)، نقش على أطراف العنصر البيضوي سلسلة من أزهار نور الصباح تتداخل فيما بينها.

يشع من العنصر البيضوي سدايب خشبية خالية من الزخرفة في هيئة ربطة عنق، يتوسط فراغات المستطيل المتبقية زخرفة متقابلة متماثلة من الحفر المجسم مؤلفة من أوراق على هيئة قلب، بداخلها زخرفة تشبه خلايا النحل، تنمو على طرفي القلب أوراق يتوسطها عنصر أوراق السهام، تنمو منها فروع رفيعة مورقة ومزهرة، نفذت بالألوان المائية.

زينت فراغات ربطة العنق المشعة بحرف آس (S) اللاتيني، يتركز عليها عنصر يشبه حرف الواو، تتصل ببعضها بشكل متسلسل، يقوم على فكرة التعاقب المتبادل، تتسلسل وتلتف حولها فروع نباتية رفيعة تنمو منها تشكيلة من أزهار الحوذان، نفذت بأحجام مختلفة صغيرة متوسطة وكبيرة.

الحشوة الثانية: تتألف من حشوة مركبة مستطيلة تتوسطها دائرة بداخلها نجمة مركبة ثمانية الأضلاع، جسدت بواسطة السدايب الخشبية، تتوسطها دائرة مركبة من أوراق الأكانتس مجسمة وبارزة نحو الخارج مؤلفة من صفين، وتخللت الصف الأول من رؤوس النجمة عناصر نباتية شديدة التحوير بالأبيض على أرضية حمراء، بينما الصف الثاني من الرؤوس تتخللها باقات الحوذان الحمراء والزرقاء المتناوبة فيما بينها، أما الصف الثالث من أضلاع النجمة فتتوسطها باقات من الأزهار تتناوب فيما بينها، مشكلة من أزهار الحوذان الزرقاء والأقحوان البيضاء وأزهار نور الصباح الوردية.

ملئت المساحة المتبقية من المستطيل بمضلعين متقابلين تتوسطهما الدائرة النجمية، تتألف كل واحدة منها من زهرة كف السبع، ينمو منها بشكل حلزوني حرف الواو متصل ببعضه البعض بشكل متعاقب، يلتف حوله غصن مورك ومزهري ينتهي بأزهار الرمان واللاله والورد وكف السبع، نفذت بالحفر المجسم المفرغ، تم تثبيتها بالسقف بتقنية التعشيق أو الغراء، أما المساحة المتبقية من الحشوة فقد طليت باللون الأخضر وملئت بفروع رفيعة تتخللها أزهار الياسمين، تتبع في حركتها حركات المساحة التي حصرتها فيها.

الحشوة الثالثة: عنصر بيضوي مفصص خالي من الزخرفة تشع منه سدايب خشبية، تخللت المساحة التي تفصل السدايب عن بعضها تشكيلة من الفروع والأغصان المزهرة في هيئة باقات مختلفة مشكلة من أزهار الياسمين والأقحوان والحوذان والنرجس.

شغلت أركان المستطيل مثلثات يتوسطها نسر ينقض على أرنب، ذات خلفيات لمناظر ريفية تختلف من مثلث إلى آخر، نفذت بالألوان المائية، المثلث الأول تحيط بالمنظر مساجد ذات قباب، أما الثاني فيحيط بالمنظر

مدينة إسلامية مبانيها متعددة الطوابق، أما الثالث فيحيط بالمنظر حصن وقصر، وقد أحيطت المثلثات بشريط يزينه غصن تنمو منه أزهار وأوراق النسرين.

الحشوة الرابعة: عبارة عن دائرة مشعة نفذت بالسدايب الخشبية متعرجة الشكل، تتوسطها دائرة مجسمة في مركزها حفرت صف من أوراق الأكانتس أحيط بها صف آخر من عنصر السبحة والدائرة بكاملها نفذت على هيئة زهرة مفصصة.

أما المساحة المحصورة بين السدايب الخشبية، فهي مزينة فروع مورقة تنمو منها أزهار القرنفل والنجس والأقحوان، يشغل المساحة الناتجة عن تنفيذ الدائرة داخل المستطيل زخرفة متناظرة متقابلة ومتماثلة مؤلفة من عناصر حرف آس (S) اللاتيني، تنمو فوقه أوراق الأكانتس التي يتفرع منها بشكل متعاكس فروع حلزونية متصلة ببعضها البعض تنتهي بعضها بأزهار الورد وبراعم كف السبع والرمان تخلصها أوراق، نفذت العناصر بكاملها بأسلوب واقعي متأثرا بطراز الباروك التركي والركوكو، وقد اعتنى فيها الفنان بأدق التفاصيل، فرسم كل جزئيات الوحدات حتى ولو كانت صغيرة.

يفصل الحشوات السابقة عن بعضها البعض شريط أبيض تتخلله في نقطة التقاء رؤوس الحشوات دوائر وأنصافها نفذت بالحفر المجسم تتوسطها مسامير ذات أخاديد يحيطها صف من أوراق الأكانتس، بينما الشريط الأبيض يتوسطه غصن تنمو منه أزهار الحوذان وبراعمها نفذت بالأحمر والأزرق، وقد أطرت الحشوات التسعة بصف من أوراق الأكانتس في هيئة إفريز بارز نفذ بتقنية الحفر المجسم والتفريغ، كما أطرت مرة أخرى بثلاثة أطر أخرى في هيئة أشطرة قسمت إلى خراطيش تخللتها تشكيلة من باقات الأزهار الطبيعية الجميلة والمتنوعة، كالنفل والحوذان والقرنفل واللاله والورد والأقحوان والنجس والياسمين والرمان وعود الصليب والنسرين.

يربط الحوائط بالسقف إفريز في هيئة ستائر مسدولة مشكلة من تقوسات متدرجة معكوسة، وهي منفذة بالحفر البارز لونت باللون الأحمر والأصفر والأخضر.

وبجانب السقف الرئيسي لغرفة الطعام يوجد أيضا سقف (أنظر الصورة رقم 10، الشكل رقم 02) آخر يغطي مساحة تعد امتدادا لنفس القاعة، وهو يقع بالجهة الجنوبية، مقاساته 2,76×1,60م، يتميز باختفاء عنصر السدايب الخشبية واعتماد الفنان على تقنية الحفر البارز والمجسم والتفريغ في تجسيد عناصره الزخرفية، بالإضافة إلى استخدام الألوان المائية، وهو يشبه الجزء الأوسط من الغرفة الأمامية الموجودة بدار الحمراء من حيث طريقة التنفيذ، إلا أنها تختلف من حيث العناصر وتركيبها.

يتألف الجزء الأوسط من السقف من معين وأنصافه، تخللت نقطة التقائها أزهار الأقحوان لونت باللون الذهبي، أما المعينات فتتوسطها زهرة مركبة تنمو منها فروع أفعوانية تتقاطع وتتداخل فيما بينها تبرز منها مراوح نخيلية

وأنصافها، أما أنصاف المعينات فتتوسطها زهرة كف السبع تنمو منها فروع حلزونية متصلة تنتهي بمراوح نخيلية ونفس الزهرة المركزية.

يحيط بالجزء المركزي من السقف ثلاثة أشرطة، الشريط الأول منها تتبادل أزهار النرجس والياسمين فيما بينها نفذت بأسلوب التجسيم وثبتت بالسقف بواسطة الغراء، ودهنت باللون الذهبي على أرضية حمراء، أما الشريط الثاني خالي من الزخرفة، بينما يتألف الشريط الثالث من عناصر هندسية ونباتية، قوام زخارفه معينات نفذت بأوراق متداخلة في هيئة سنبله، نتج عن التقاء المعينات في أطراف الشريط مثلثات، توسطت الأشكال الهندسية زهرة على مهاد من الأوراق، لونت الأرضية بالأصفر وباقي العناصر بالأحمر والأزرق بدرجاتهما والأخضر.

ويتصل بالسقف والجدران إفريز في هيئة شرافات مسننة بارزة نحو الأسفل، وخالية من الزخرفة لونت بالأحمر، وقد نفذت العناصر الزخرفية وفق طراز الرومي، اعتمد في تكوينها على التناظر التماثلي والإلتواءات الحلزونية وخروج العناصر من بعضها.

3/ سقف الدار الحمراء⁽¹⁾:

النموذج الأول:

اسم المعلم:	الدار الحمراء
موقع المعلم:	مدينة الجزائر
موقع السقف:	الغرفة الشرقية بالطابق الأول
الطول:	6,50م
العرض:	2,70م

⁽¹⁾ - عرفت بعدة أسماء منها دار موري ارناؤط، وقد بنيت من طرف الداوي حسين داي عندما تولى منصب خوجة الخيل في حدود 1818-1818، اما تسميتها بدار الحمراء فقد اتخذتها من العين الحمراء التي كانت تتواجد في نفس الزقاق اي بسباط على الفاسي انداك، وبالقرب منها كان يوجد مسجد عين الحمراء الذي هدم عند توسعة السباط في الفترة الاستعمارية سنة 1863. للمزيد انظر: GOLVIN.L, op-cit, ,p67
KLEIN. H, , op-cit, ,p127 ,128.

الارتفاع:	3,90م
-----------	-------

الوصف: يتشكل سقف (الصورة رقم 11) هذه الغرفة من ثلاثة أقسام مستطيلة، الجانبين متشابهين ومتماثلين في الحجم والشكل والمقاسات والزخارف، يتوسطهما قسم مركزي مستطيل الشكل هو الآخر، تتوسطه دائرة بيضوية مفصصة نفذت عليها بالحفر المجسم مختلف أنواع الفواكه كالبطيخ والرمان والتين بأحجام مختلفة، يشع من العنصر البيضوي باتجاه الأضلاع سدايب خشبية متخذة شكلا في هيئة ربطة عنق مشعة زينت بالحفر المجسم بفروع مورقة تنتهي بأزهار الورد تتصل ببعضها البعض وفق أسلوب التكرار المستمر، يتوسط المستطيل من جهة الضلع الأكبر شكل هرمي متقابل ناقص تشغله دائرة مركزية تنمو منها بشكل متعكس فروع تنتهي بزهرة الرمان في هيئة شعلة نفذت بالحفر البار.

يحيط بالمستطيل إفريز بارز نحو الأسفل، قوامه شريط من أوراق الاكانتس، أطر المستطيل بشريط آخر قسم إلى حشوات مستطيلة ومربعة، المستطيلة تشغلها ورقة ثلاثية تنمو منها فروع متعكسة تنتهي بمراوح نخيلية، أما المربعة فتتوسطها زهرة الأكانتس، أما الأقسام الجانبية للحشوة المركزية فقد قسمت بواسطة السدايب إلى معينات لونت بالأحمر والأخضر، توسطتها أزهار الاكانتس، تشغل نقطة تقاطع السدايب الخشبية زهرة رباعية. والأقسام الثلاثة للسقف أطرت بشريطين نفذت عليهما زخارف نباتية مختلفة في تركيبها وألوانها ومتشابهة من حيث الفكرة، قوامها فروع افعوانية تبرز منها أوراق ومراوح نخيلية وأزهار.

النموذج الثاني:

اسم المعلم:	الدار الحمراء
موقع المعلم:	مدينة الجزائر
موقع السقف:	الغرفة الشمالية بالطابق الأول
الطول:	9,55م
العرض:	2,90م
الارتفاع:	3,90م

الوصف: تتألف هذه الغرفة من قسمين أمامي وخلفي، فأما بالنسبة لسقف (الصورة رقم 12) الجزء الخلفي فهو الأكثر جمالا وأكبر مساحة، يتألف من ثلاث حشوات، المركزية منها ذات شكل مربع تتوسطها مصندقة على هيئة قصعة مقلوبة غائرة إلى الداخل في هيئة قبة صغيرة، تتوسطها نصف كرة بارزة تحيط بها فصوص لورقة الاكانتس، ويحصر الكل داخل دائرة تشغل أجزاءها أشكال محاريب نصف دائرية مجوفة متصلة ببعضها البعض نفذت بواسطة السدايب الخشبية، تتوسطها باقات أزهار قائمة على فكرة التكرار المتبادل على أرضية بيضاء ووردية لم يتقيد الفنان

برسم جزئياتها بشكل متماثل، حيث إذا ما دققنا وأمعنا فيها النظر فإننا نجد لها مختلفة، تتشكل من أزهار الياسمين والرمان واللاله والنرجس والورد، تم إحكامها بخيط رفيع أحمر، متاثرة بطراز الباروك.

تخطيط الصرة المركزية دائرة أكبر داخلية وخارجية، الداخلية منها قوامها أوراق الاكانتس نفذت بالحفر المجسم على شريط أحمر، أما الخارجية فهي مقسمة إلى مضلعات بصف من أزهار اللاله غير منتظمة قاعدتها ضيقة تتسع كلما اتجهنا نحو الخارج، يشغلها شبه مستطيل تتوسطه زهرة اللاله تنمو من قاعدتها فروع تلتف حولها تنتهي بمراوح نخيلية.

نتج عن توسط الدائرة للمربع مثلثات في زواياها الأربعة، تتوسطها زهرة كأسية تحمل هلالا بداخله زهرة صغيرة، يتوج الهلال فرعان مورقان بشكل متدلي على جانبيه، وقد أطر السقف بشريطين، الخارجي يتشكل من فروع أفعوانية مورقة ومزهرة ألوانها حمراء وزرقاء، واستخدم الأخضر لتلوين الأوراق التجريدية، بينما الفروع رسمت بخط أحمر، في حين الشريط الداخلي قوام زخارفه خراطيش مستطيلة تفصل بينها زهرة الرمان متفتحة بداخل الخراطيش زهرة رمان صغيرة غير متفتحة تنمو منها باقة تتفرع عنها أوراق أزهار الرمان، أما الشريط الذي يفصل أقسام السقف عن بعضها البعض فيتشكل من زهرة رمان مركزية تشع على جانبيها فروع رفيعة مورقة تنمو منها أزهار الورد والبنفسج.

أما القسم الأمامي، فمقاساته 1,84×6,90م، وهو من نوع السقف المصندق (أنظر الصورة رقم 13)، تم تقسيم سطح الغرفة إلى سبعة مربعات أفقية يتخللها أربعة وعشرون مربعا عموديا، تغطي السطح بكامله، نفذت بشكل متدرج على هيئة حطات، لونت بالأحمر والأزرق تتوسط الزرقاء منها أزهار مجسمة الشكل.

4/ سقف دار بن جلول⁽¹⁾:

النموذج الأول:

اسم المعلم:	دار بن جلول
موقع المعلم:	مدينة قسنطينة
موقع السقف:	الغرفة الجنوبية بالطابق العلوي
الطول:	10 م
العرض:	3,10م

⁽¹⁾ - تقع دار بن جلول الى الجانب الغربي من جامع ومدرسة سيدي الكتاني تطل على سوق العصر، وقد كان بناؤها على يد صالح باي خلال نفس الفترة التي بني فيها الجامع والمدرسة انظر: شغيب (محمد المهدي بن علي)، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1980، ص 376-386.

الارتفاع:	4,40م
-----------	-------

الوصف: يوجد هذا السقف (الصورة رقم 14) في الغرفة الجنوبية من الطابق العلوي لدار بن جلول، وهو من نوع الأسقف المصنذقات، يتوسطه صندوق مربع بداخله طبق نجمي مركزي يتألف من 16 ضلعا، يحف به في أركان المربع أربع طبقات نجمية، نفذت الزخارف بتقنية السدايب الخشبية، حيث تظهر للعيان وكأنها بارزة، نفذت بتقنية الحفر البارز.

وبنفس الدار يوجد نموذج آخر (أنظر الصورة رقم 15) يقوم على نفس الفكرة يتقدم إيوان الغرفة الشمالية، ولا يختلف عنه إلا في طريقة تنفيذ الطبقات النجمية بالحفر البارز والألوان المائية، في حين جاء الشريط السفلي الذي يحيط بالمصندقة يتألف من شريط زخرفي قوامه نجمة ثمانية تتكرر على أطراف المصندقة نفذت بتقنية الحفر البارز. ولهذا السقف أيضا ما يشبهه في أروقة الطابق الأول من الدار، إلا أنه بسيط وخالي من الزخرفة، وقد عوض الفنان الصندوق الزخرفي بصندوق بسيط يفتح إلى أعلى السقف.

النموذج الثاني:

اسم المعلم:	دار بن جلول
موقع المعلم:	مدينة قسنطينة
موقع السقف:	الغرفة الشرقية بالطابق الأول
الطول:	3,20م
العرض:	3,10م
الارتفاع:	4,40م

الوصف: يقع هذا السقف (الصورة رقم 16) بالجزء الأوسط من القاعة الجنوبية الشرقية، يتقدم المدخل الرئيسي للقاعة مباشرة، وخلفه يوجد الإيوان، وهو سقف مسطح، يتألف من ألواح أفقية مصنوعة من خشب الجوز، وهي معشقة ببعضها البعض، نفذ عليها بالحفر الغائر أطباق نجمية محصورة داخل دوائر مؤلفة من 16 ضلعا، تتوسطها أزهار مسننة، نتج عن التقاء الدوائر ببعضها البعض مساحة توسطتها نجمة رباعية تتألف من عناصر البولة مقرمطة والوزة.

والسقف تتوسطه صرة محفورة مزخرفة بعنصر الدلايات القائمة على فكرة المقرنصات المتدرجة المتدلية، تتوجها في المركز زهرة الأقحوان المركبة، وقد زينت أضلاع الأطباق النجمية بالألوان، وحددت عناصرها بشغل عجمي أعطت لها بروزا على الرغم من أنها نفذت بالحفر الغائر.

وخلف هذا السقف يوجد سقف يشغل إيوان الغرفة، وهو شبيه له، إلا أنه يختلف عنه في الحجم والمقاسات المقدرة بـ $2,75 \times 2,45$ م، وطريقة توزيع الطبق النجمي، حيث اتخذ شكل المربع مع اختفاء النجمة الرباعية.

5/ سقف دار بن شريف⁽¹⁾:

اسم المعلم:	دار بن شريف
موقع المعلم:	مدينة قسنطينة
موقع السقف:	الغرفة الشمالية الغربية بالطابق العلوي
العرض:	3,10 م
الارتفاع:	4,40 م

الوصف: تقع دار بن شريف بحي باب القنطرة قرب رحبة الصوف بالجهة الجنوبية الشرقية من مدينة قسنطينة، وهي تعد من المساكن التي ترجع إلى الفترة العثمانية، ولا تزال تحتفظ بالكثير من الخصائص التخطيطية والمعمارية والفنية الأصيلة، ويعد السقف واحدا منها (الصورة رقم 17)، إلا أنه وبكل أسف لم تتمكن من الدخول إلى جميع غرف الدار فيما عدا غرفة واحدة وبما يظهر سقف أصلي.

يقع هذا السقف في الغرفة الشمالية الغربية من الطابق الأول للدار، وهو يتألف من قسمين، الأول يعلو الجزء الأمامي من الغرفة، وهو مستطيل مشكل من ألواح خشبية مسطحة رصت بشكل مائل بين زوايا الجدران على هيئة مائلة، وقد قام الصانع بتغطية نقطة التقاء الألواح بسدايب خشبية أفقية تتقاطع مع سدايب خشبية عمودية، مشكلة معينات صغيرة الحجم. يتوسط السقف من الجهة اليمنى واليسرى نجمة ثمانية، نفذت بتداخل مربعين من السدايب الخشبية، تم تقسيم أحد هذه المربعات إلى ثماني تضليعات على هيئة نجمة غير مكتملة.

أما السقف (أنظر الصورة رقم 18) الموجود بإيوان الغرفة، جاءت حشوته المركزية مغايرة، شكلت من نجمة مركبة، الداخلية سداسية ناتجة عن تداخل مثلثين، أما الخارجية فتتألف من 12 ضلعا.

⁽¹⁾ - تقع الدار ضمن درب مغلق يضم ثلاثة مساكن، منها دار طربال ودار بن شيكو، تعتبر دار بن شريف أقدمها بمقارنتها بالمباني الأخرى، إلا أننا نجهل سنة بنائها والشئ المعروف عنها أنها كانت ملك شاكر باي الذي حكم المدينة من 1814-1817 ولا نعرف أن بنيت من طرفه أو من طرف غيره . انظر:

- NOWEIR(S), “ La Maison Constantinoise : Elements Traditionnels Transformation 4 Contemporaine”, Rencontre d'Aix-Provence (Juin 1984), Le Caire, 1988, P65.

رابعا/ الدراسة التحليلية لأنواع السقوف بالجزائر:

1/ السقف المسطح:

أ- السقف المسطح ذو العوارض:

يعتبر السقف ذات العوارض النوع الشائع والمسيطر على المباني بالجزائر خلال الفترة العثمانية، وهو لا يتطلب مهارة أو جهدا كبيرا في إنشائه، ولا يحتاج وقتا طويلا لإعداده بالإضافة إلى كونه خالي من الزخرفة، وقد استخدم في تغطية الغرف والأروقة والسلام والمخازن على السواء، وهو يتكون من طبقة سفلى تتشكل من روافد خشبية منتظمة تكون اسطوانية الشكل (جدع الأشجار) أو مستطيلة المقطع خالية من الزخرفة، يثبت طرفيها في داخل الجدار بشكل أفقي بعد وضع الأوتاد بالجدار توضع فوقها مباشرة ألواح مسطحة ضخمة ترص بجانب بعضها البعض، يتم الربط بينها بواسطة غراء يصنع محليا، وهذه الألواح هي التي تحمل ضغط البناء الواقع فوقها، وهي التي تحمل من الأعلى طبقة عازلة مكونة من صفا من مداميك الآجر التي اتبع البناء في تصنيفها طريقة أدية وشناوي (أفقي، عمودي) تلتها المونة التي تتكون من طبقات مختلفة، وعندما تجف تبلط بطبقة من الملاط، وتنمق بالتبليطات الخزفية أو الرخامية، ويتراوح سمك هذا النوع من التسقيف ما بين 20 و30 سم، وهو يتميز باقتصاديته وسهولة تركيبه مما ساعد على انتشاره واستخدامه بكثرة في مباني الجزائر خلال العهد العثماني.

ب- السقف المسطح الخالي من العوارض:

يتشكل أساسا من مستويين علوي وسفلي، المستوى العلوي ذو صفة بنائية إنشائية لا يختلف عن التسقيف المسطح ذو العوارض، بينما المستوى السفلي منه زخرفي، يتشكل من صفائح خشبية مسطحة رفيعة، يتراوح سمكها بين 1.5 سم و2.5 سم، وعرضها يتراوح بين 15 سم و30 سم، تثبت على الجدران بمسافات متساوية، يتم زخرفتها وتنميقها بالألوان المائية وشغل عجمي ثم تطلّى بطبقة من اللاك من قبل رفعها، ويقدر الفراغ المحصور بين المستويين بحوالي 3 سم إلى 5 سم، وهو بدوره على نوعين:

النوع الأول: يزخرف بالألوان المائية وشغل عجمي، ويطلّى بطبقة من اللاك، كما هو عليه الحال في

سقف دكة المبلغ بالجامع الأخضر بمدينة قسنطينة، وبالعرفة الجنوبية من الطابق الأول بقصر حسن باشا.

النوع الثاني: يعتبر من أهم وأكثر الأسقف الخشبية المزخرفة المستخدمة بالجزائر خلال الفترة العثمانية، وهو

يجمع بين الألوان المائية وتقنية السدايب الخشبية، أو ما يعرف باسم تقنية القفص، تعتمد هذه الطريقة على استخدام أشربة رفيعة مفردة أو مزدوجة من السدايب الخشبية، تجمع تلك السدايب فيما بينها بتقنية التجميع والتعشيق، وتثبت بعد ذلك مباشرة فوق الأسطح بواسطة اللصق بالغراء أو باستخدام مسامير معدنية، بحيث يتم ترتيبها بجانب

بعضها البعض بشكل تبدوا فيه السدايب بارزة، وفق تصميم زخرفي مسبق⁽¹⁾، وقد وجدت لهذا النوع نماذج كثيرة بكل من مصر وتركيا بمدينة سفران بلو⁽²⁾، ومن بين أمثله بالجزائر الدار الحمراء ودار عزيزة وقصر حسن باشا وقصر 18 و 23 بمحزن 23 بمدينة الجزائر، وجامع سيدي الكتاني وقصر احمد باي ودار بن شريف بمدينة بقسنطينة. وقد اتخذ الفنان من الصرر الدائرية والبيضوية المشعة والأطباق النجمية والعناصر الهندسية بشكل عام أساسا له في زخرفة هذا النوع من الأسقف (أنظر الشكل رقم 01-02)، واستخدمت الزخارف النباتية المنفذة بالألوان المائية أو بالحفر كعنصر مساعد لها، ملئت بها الأجزاء والوحدات الصغرى الناتجة عن العناصر الهندسية، وهذه الأخيرة تعتبر العناصر الأفضل التي يمكن تنفيذها بدقة متناهية بواسطة السدايب.

2/ سقف المصندقات:

يسمي هذا النوع من الأسقف بالمصندقات، لكونه يتشكل من وحدات وتجويفات غائرة مربعة منتظمة الشكل تشبه الصناديق، وأقدم ما وصلنا لهذا النوع سقف مصندق يؤرخ بالقرن 3هـ/9م، ومن أمثلتها ما وجد بالجامع الكبير في شبام الكوكبان المؤرخ 256هـ/878م، والجامع الكبير في صنعاء باليمن، ويوجد مثال آخر يرجع إلى الفترة الفاطمية بجزيرة صقلية في الكابيللا بلاتينيا 534-1140/553م، وانتقلت إلى مصر وظهرت في ضريح الإمام الشافعي 608هـ/1211م، وفي مدرسة أيوب، وفي ضريح المنصور بن قلاوون وغيرها⁽³⁾. يتألف هذا النوع من التسقيف من مستويين، العلوي عبارة عن عوارض خشبية ضخمة، يتم وضعها على مسافات متساوية ترتكز على الجدران، تعلوها ألواح خشبية تحمل الطبقة العازلة السابقة الذكر، بينما المستوى السفلي فهو الظاهر للعيان والذي يتم تنميته وزخرفته، يتشكل من عوارض خشبية عمودية (رأسية) تتقاطع معها عوارض أخرى أفقية، ينتج عن تقاطعها مناطق مربعة أو مستطيلة، تقسم من الداخل إلى مناطق مربعة، يتم بعد ذلك صنع مصندقات وزخرفتها، ثم رفعها وتثبيتها في أماكنها عن طريق إطارات مربعة تركب على العوارض، كما هو الحال في الغرفة الموجودة بالطابق الثاني من قصر دار الحمراء، حيث غطي السطح كله بصناديق مربعة بداخلها أزهار مركبة مجسمة، أو تثبت المصندقات في ركن المربع عند منتصف العارضة متخذة شكلا معينا أو مثمنا أو

⁽¹⁾ - خليفة (ربيع حامد)، فنون القاهرة، المرجع السابق، ص 175، 176. أنظر أيضا: عبدالعزيز (شادية الدسوقي)، الأخشاب، المرجع السابق، ص 105. رمضان (زينب سيد)، المرجع السابق، ص 303.

⁽²⁾ - زين العبادين (محمود محمد)، المرجع السابق، ص 186، 188.

⁽³⁾ - خليفة (ربيع حامد)، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الاسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992/1412، ص 129-136، أنظر أيضا: عكاشة (ثروة)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشرق، ط 1، 1994، ص 84، 86. مصطفى (صالح لمعي)، المرجع السابق، ص 86.

سداسيا، تزخرف بعناصر الارابيسك بواسطة الألوان المائية واللاكه وشغل عجمي، كما هو عليه في قصر الباي بوهراوان كان هذا النموذج يرجع إلى الفترة الاستعمارية

وفي هذا النوع من التسقيف يترك الصانع مسافة بين المستويين بغرض حماية السقف المنقوش والملون من العوامل الجوية، كما أنها تسمح بتخلل الهواء بين مستويات السقف، مما ينتج عن هذا تلطيف درجة الهواء أعلى السقف وينعكس على الوحدات المعمارية للمبنى، كما انه يعمل على عدم انتقال الأصوات بين الطبقات نظرا لتوزيع ذبذبات الصوت بين مستويات السقف مما يحقق الهدوء والسكينة، وعادة ما تفتح تلك الوحدات نحو الأعلى وتستغل تلك الفراغات كخزانات لحفظ المصاحف وبعض المتعلقات الخاصة⁽¹⁾.

3/ السقف ذو القصع المقعرة:

سمي كذلك لأنه مصنوع على شكل قباب صغيرة تشبه قصعة مقلوبة، وهذا النوع من التسقيف لا يختلف كثيرا عن التسقيف السابق، إلا أن القصع تثبت من أسفل بواسطة إطارات مثمثة أو رباعية تكون مسطحة أو مقعرة إلى الداخل⁽²⁾، ومن أمثلته ما يوجد بسقف الطابق الثاني من الدار الحمراء بمدينة الجزائر.

4/ السقف المركب:

أ- السقف المسطح والمقرنص:

يتألف هو الآخر من مستويين علوي وسفلي، أما بالنسبة للعلوي فلا يختلف عن النماذج السابقة، بينما السفلي يحتوي على ألواح خشبية جمعت ببعضها البعض عن طريق التعشيق والغراء، ونقش عليها بأسلوب الحفر الغائر أطباق نجمية من ستة عشر ضلعا لونت بالألوان المائية، تظهر للعيان في الوهلة الأولى على أنها بارزة بحيث استطاع الفنان التلاعب بالإضاءة والتحكم فيها، يتوسط السقف صرة مفصصة غائرة، نفذت على هيئة حطات متدرجة مقرنصة، يتوسطها في المركز زهرة الأقحوان المركبة، غطيت بطبقة ذهبية من الطلاء نجد لها نموذجين بدار بن جللول بالطابق الأول بالغرفة الجنوبية، أحدها يمثل سقف إيوان الغرفة، والآخر سقف الجزء الذي يتقدمه، وهما لا يختلفان في الشكل إلا من حيث طريقة تنظيم وتوزيع الأطباق النجمية.

ب- السقف ذو العوارض والمصندقات:

يتشكل من مستويين علوي وسفلي، المستوى العلوي ذو صفة بنائية إنشائية عبارة عن سقف جملوني، أما المستوى السفلي فلا يختلف عن التسقيف المسطح ذو العوارض، لكن يتوسط السقف مصندقة مربعة الشكل،

⁽¹⁾ - رمضان (زينب سيد)، المرجع السابق، ص 256، 258. أنظر أيضا: خليفة (ربيع حامد)، فنون الزخرفية اليمنية، المرجع السابق، ص 131.

⁽²⁾ - نفسه، ص 256، 258. أنظر أيضا: خليفة (ربيع حامد)، فنون الزخرفية اليمنية، المرجع السابق، ص 131.

حصرت بداخلها أطباق نجمية نفذت بالسدايب الخشبية البارزة دهنت بالألوان المائية، وينتج عن تقاطع السدايب الخشبية فراغات ضيقة محصورة، كما لو أنها نفذت بتقنية الحفر الغائر، ونجد لهذا النوع من التسقيف مثالين بدار بن جلول بقسنطينة، أحدهما يتقدم إيوان الغرفة الشمالية من الطابق الأول، والآخر بالرواق الغربي من نفس الطابق، إلا أن المصندقة الموجودة بهذا الأخير يمكن فتحها والصعود منها إلى الفراغ الفاصل الموجود بين الجزء السفلي والجزء الجملوني العلوي من السقف.

وفي الغالب ما يحيط السقف -بغض النظر عن نوعه- بالجزء السفلي إزار من سدايب خشبية توضع بشكل مسطح، أو يأخذ انحناءه تكسية مقعرة، أو من عدة حنايا متجاورة، حيث يلتف مع سطح الغرفة، وزخرفته تتوقف على حسب أهمية السقف وثرائه الفني والزخرفي ونوعية الألوان المستخدمة، وهو يشبه إلى حد كبير الشرافات، إلا أنه وضع بشكل معكوس يأخذ أشكالا مثلثة متدرجة، أو عناصر ورقية ثلاثية متدلّية هابطة.

وبالإضافة إلى وظيفته الجمالية يؤدي وظيفة معمارية، فهو يساعد على تقوية الجدار ويعطيه متانة وقوة مضاعفة، ويزيد من سمكه في بعض الأحيان، وقد يعتبر الإزار بمصر وثيقة تشييدية، حيث يذكر فيه اسم المنشئ وألقابه ووظائفه، ووثيقة الإنشاء أو تجديده وآيات قرآنية وعبارات دعائية للمنشئ، كما هو في سقف سبيل خسرو باشا، وسبيل قيطاس، وسبيل علي آغا خزنادر⁽¹⁾، إلا أن هذه الظاهرة غير موجودة بالجزائر، إنما رسمت عليه زخارف نباتية وهندسية ذات ألوان متعددة، ومن الأسقف التي استخدم فيها الإزار نذكر غرفة الطعام الموجودة في كل من قصر مصطفى باشا وحصن 23 في قصر 18 بقصر البارود ودار عزيزة وحسن باشا ودار بن جلول وغيرها.

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث نشير إلى أنه وعلى الرغم من قلة النماذج المتبقية بالأسقف الخشبية بالجزائر والتي ماتزال تحافظ على زخارفها وعناصرها كاملة، وتواجد معظمها بمدينة الجزائر، إلا أننا نستطيع القول أن الأسقف في الفترة العثمانية شهدت تنوع من حيث الشكل وطريقة بنائها والمادة المستخدمة التي اختلفت بين القباب المكسية بالحص أو الأسقف المقببة أو الأسقف الخشبية، وهذه الأخيرة شهدت تنوعا سواء في طريقة تنظيمها أو من حيث زخرفتها والتي ظهرت أغلبها خلال الفترة العثمانية واستخدمت لأول مرة بالجزائر على الرغم من أن بعض طرق التسقيف ظهر في الفترات السابقة في العالم الإسلامي، إلا أنه لم يصلنا بالجزائر نماذج مشابهة لها إلا في هذه الفترة، منها الأسقف البسيطة التي تعتمد على العوارض الخشبية الدائرية أو العوارض المستطيلة، ومنها المسطحة الخالية من العوارض تعتمد على المصندقات، والأسقف المركبة التي جمعت بين الأنواع السابقة الذكر، وفي الغالب ما قسم سقف الغرفة الواحدة إلى ثلاثة أجزاء أو أكثر أوسطها أكبرها وأهمها، فقد أولى لها الفنان عناية خاصة وعمل على زخرفتها

⁽¹⁾ - رمضان (زينب سيد)، المرجع السابق، ص 269، 270. أنظر أيضا: عبد الرحيم (غالب)، المرجع السابق، ص 46

بتقنيات واساليب زخرفية جديدة ظهرت مع الأتراك العثمانيين كاستخدام تقنية السدايب والحفر المجسم الذي يعتمد على عنصر المصندقات المقعرة، او المقرنصات التي نجذ لها امثلة بدار بن جلول وان كانت بسيطة، فضلا عن الالوان المائية التي استخدمت لتنفيذ الوحدات الزخرفية كانت نباتية أو هندسية أو رمزية، مما اعطى للغرفة رونقا ومظهرا زاد من ابهرتها وجمالها .

ملحق الصور والأشكال:



الصورة رقم 02: سقف ايوان غرفة



الصورة رقم 01: سقف غرفة بقصر حسن باشا
بقصر حسن باشا



الصورة رقم 04: سقف غرفة



الصورة رقم 03: سقف جانبي لغرفة بقصر حسن باشا
بقصر حسن باشا



الصورة رقم 06: سقف داخلي لغرفة



الصورة رقم 05: سقف جانبي لغرفة بقصر



بقصر حسن باشا



الصورة رقم 08: سقف غرفة

الصورة رقم 07: سقف جانبي لغرفة بقصر حسن باشا

بقصر 18 حصن 23



الصورة رقم 10: سقف

الصورة رقم 9: سقف غرفة الطعام بقصر 18 حصن 23
جانبي لغرفة الطعام

الصورة رقم 12: سقف غرفة

الصورة رقم 11: سقف غرفة بالدار الحمراء
بالدار الحمراء

الصورة رقم 14: سقف غرفة

الصورة رقم 13: سقف أمامي لغرفة بالدار الحمراء
بدار بن جلول



الصورة رقم 16: سقف غرفة



الصورة رقم 15: سقف غرفة بدار بن جلول

بدار بن جلول

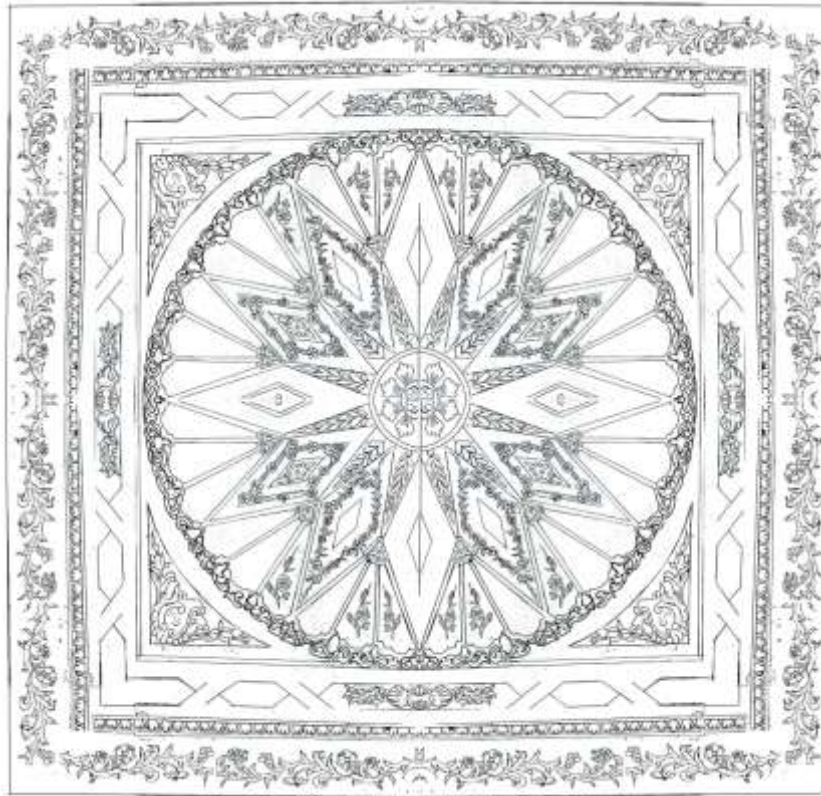


الصورة رقم 18: جانب من

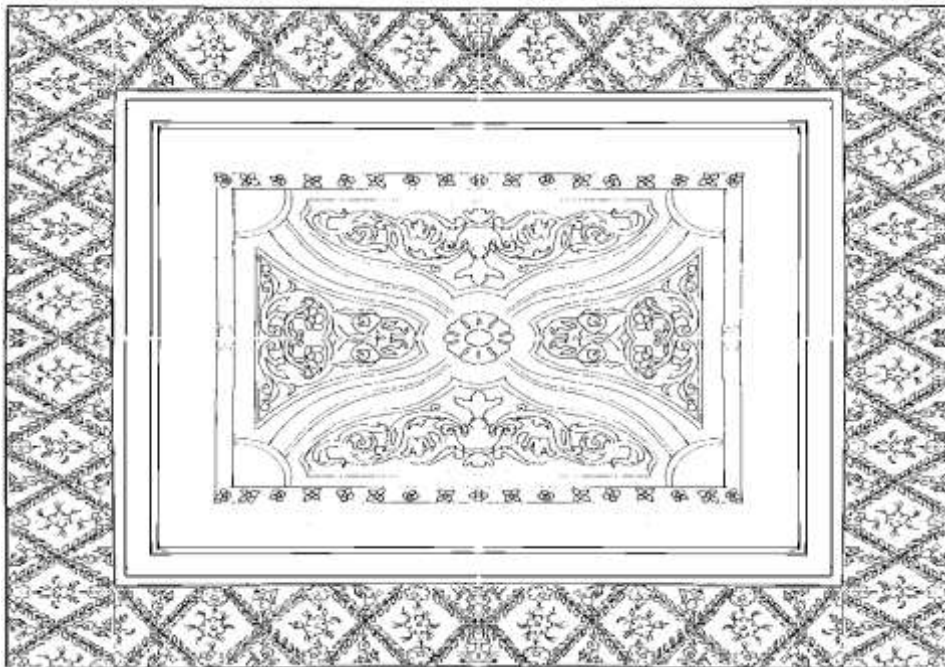


الصورة رقم 17: سقف غرفة بدار بن شريف

سقف إيوان غرفة



الشكل رقم 01: جزء من سقف غرفة بقصر حسن باشا (عمل الباحثة)



الشكل رقم 02: سقف جانبي بإحدى غرف الطعام بقصر 18 حصن 23 (عمل الباحثة)

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- ابن خلدون (عبد الرحمن)، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجع وضبط للفهارس خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت- لبنان، 2001/1431.
- 2- ابن منظور (جمال الدين بن محمد)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت.
- 3- خليفة (ربيع حامد)، فنون القاهرة في العهد العثماني (923هـ/1517م-1220هـ/1805م)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004.
- 4- خليفة (ربيع حامد)، الفنون الزخرفية اليمينية في العصر الاسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992/1412.
- 5- رزق (عاصم محمد)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي للنشر، القاهرة، 2000.
- 6- رمضان (زينب سيد)، الاسقف الخشبية في العصر العثماني، رسالة لنيل درجة الماجستير في الاثار من قسم الاثار الإسلامية، كلية الاثار، جامعة القاهرة، 1992.
- 7- زين العابدين (محمود محمد)، جول تاريخية في البيت العربي والبيت التركي، ط1، السعودية، 1998، ص183
- 8- شغيب (محمد المهدي بن علي)، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة-الجزائر، 1980.
- 9- عبدالعزيز (شادية الدسوقي)، الأخشاب في العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2003/1423.
- 10- عبدالعزيز (شادية الدسوقي)، فن التذهيب العثماني، دراسة فنية في ضوء مجموعات المصاحف الأثرية بالقاهرة، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1988.
- 11- عكاشة (ثروة)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشرق، ط1، 1994.
- 12- غالب (عبدالرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، مطبعة جروس برس، بيروت، ط1، 2000.

13- قرمان (عبد القادر)، المنشآت المدنية بمليانة في العهد العثماني دراسة أثرية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2007.

14- مصطفى (صالح لمعي)، لمعي (صالح مصطفى)، التراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النهضة للطباعة، بيروت.

15- GOLVIN.L, Palais et Demeures d'Alger à la période ottomane, Tard y Quercy(S.A),CAHORS

16- KLEIN. H, Les Feuilles D'El Djezair, L.chaix éditeur, Alger,1937

17- NOWEIR(S), “ La Maison Constantinoise : Elements Traditionnels Transformation 4 Contemporaine”, Rencontre d'Aix-Provence (Juin 1984), Le Caire,1988